

المادة: نقد النثر القديم
الاختصاص: دراسات نقدية
السنة: الثالثة ليسانس.
الأفواج: 01 + 02.



الأستاذة: د. أمينة أونيس
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
السنة الدراسية: 2022/2023.
السادسي الأول

تطبيق رقم: 05

رسائل عبد الحميد الكاتب

قالت العرب: "فُتحت الرسائل بعبد الحميد وخُتمت بابن العميد"

الأسلوب المتوازن

هو بإجماع الأدباء، أرق ما بلغته صناعة الكتابة في فنّ التعبير عن الأغراض، لأنه يجمع إلى الدقة والوضوح، حسن الذوق في اختيار المفردات، ومثانة السبك في بناء الجمل، وجمال الايقاع في تقسيم العبارة، وبراعة الموازنة بين مقاطع الكلام، وسحر التلميح إلى الأغراض والمقاصد؛ فإذا هو بدعة في الانسجام، وروعة في التناغم. وقد تميّز إلى ذلك كله، برقة اللفظ، ورشاقة التعبير؛ وانتهج الاسترسال في القول، والكياسة في أداء المعاني؛ وأجاد في استخدام المجاز؛ وأحسن في الاستشهاد ببدائع الأقوال، وروائع الآيات والأشعار.

ولقد كان أول العهد بهذا الأسلوب في ختام العصر الأموي. اشتهر به أولاً عبد الحميد الكاتب، ثم غدا في صدر العصر العباسي مدرسة قائمة بنفسها، بلغت أوجها في ترسل الجاحظ.⁽¹⁾

عبد الحميد الكاتب (749)

فارسي الأصل، شامي المولد والمنشأ. أول ما نعرف من أخباره أنه كان معلماً للصبيان في مدن الشام. اتصل وهو في دمشق، بأديب من أصل فارسي، هو سالم، كاتب هاشم بن عبد الملك. وتوثقت الصلة بينهما بعدما تزوج سالم هذا من أخت عبد الحميد. فكان أن تخرج عليه في كتابة الرسائل، وبرع بها. ونظراً لتفوقه في كتابة الرسائل، اختاره مروان بن محمد كاتباً له، وهو بعد وال للوليد بن يزيد على أرمينيا. ثم استبقاه بعد أن تولّى الخلافة، فكان يحرّر له الرسائل الإدارية إلى الولاة، على أنه لم يقصّر نشاطه الأدبي على شؤون السياسة، بل عمل في نطاق الأدب والصرف، فوجّه إلى زملائه من الكتاب، رسالة مستفيضة بيّن لهم فيها، الأصول التي ينبغي للكاتب أن يتقيد بها في مهامه الكتابية، والسيرة التي يتعين عليه أن يلتزمها في ممارسة حرفة الكتابة، وهي خير آثاره المعروفة. وعندما قهر العباسيون سيده مروان فرّ من وجههم. فكتب وهو هارب رسالة مؤثرة إلى أهله يصف لهم فيها هول ما يلقي. إلا أنّ عملاء العباسيين ظفروا به وقتلوه. وهذا نص الرسالة.⁽²⁾

1- كمال اليازجي، الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم، من عصر علي بن أبي طالب إلى عصر ابن خلدون 600-1400، مع نصوص من رواع بلغاء الكتاب للدرس والتحليل، دار الجيل، لبنان، ط1، 1986، ص: 67.

2- المرجع السابق، ص: 43-44.

رسالة الكاتب

أما بعد، حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم، فإن الله - عز وجل - جعل الناس، بعد الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين، ومن بعد الملائكة أصنافاً، وإن كانوا في الحقيقة سواءً، وصرّفهم في صنوف الصناعات، وضروب المحاولات، إلى أسباب معاشهم، وأبواب أرزاقهم، فجعلكم، معشر الكتّاب، في أشرف الجهات، أهل الأدب والمزوّات، والعلم والرزانة. بكم تنتظم للخلافة محاسنها، وتستقيم أمورها، وبنصائحكم يُصلح الله للخلق سلطانهم، ويعمّر بلدانهم. لا يستغني الملك عنهم، ولا يوجد كاف إلاّ منكم. فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون، وأبصارهم التي بها يبصرون، وألسنتهم التي بها ينطقون، وأيديهم التي بها يبطشون. فامتعمهم الله بما خصّكم من فضل صناعتكم، ولا نزع عنكم ما اصفاه من النعمة عليكم.⁽³⁾، إلى غير ذلك من أجزاء الرسالة.

رسالة وداعيّة

أما بعد، فإنّ الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور، فمن ساعده الحظُّ فيها سكن إليها، ومن عضّضته بناهبها ذمّها ساخطاً عليها، وشكاها مستزيداً لها. وقد كانت أذقتنا أفويق* استحليناها، ثمّ جمحت بنا نافرّةً، ورمحتنا* موليةً، فملح* عذبها، وحشّن لينا: فأبعدتنا عن الأوطان، وفرقتنا عن الاخوان: فالدارُ نازحةٌ، والطير بارحةٌ*.

وقد كتبتُ والأيام تزيدنا عنكم بُعداً، وإليكم وُجداً، فإن تيمّ البليّةُ إلى أقصى مدّتها، يكن آخر العهد بكم وبنا، وإن لحقنا ظُفْرُ جارحٍ من أظفار من يليكم*، نرجع إليكم بذلّ الإسار، والذلّ شرُّ جار.

نسأل الله الذي يُعزّ من يشاء، ويدلّ من يشاء. أن يهب لنا ولكم ألفة جامعةً، في دار أمنةٍ تجمع سلامة الأبدان والأديان، فإنه ربُّ العالمين، وأرحمُ الراحمين.

(صبيح الأعشى)⁽⁴⁾

خصائص أسلوبه:

إطالة التحميدات، الاسهب في التعبير، تخيّر الألفاظ والعبارات، الموازنة والسجع، الابتعاد عن البديع.

3- ينظر المرجع نفسه، ص: 67-68.

* أفويق: في الأصل: دفعات متقطّعة من المطر. وهنا: متع متفرّقة.

* رمحتنا: رفستنا.

* ملح: صار مالحاً.

* بارحة: مولية عن الشمال يريد الطير عند زجرها) دلالة على الشؤم، وضدّها: سانحة.

* يليكم: يتولى عليكم.

4- المرجع السابق، ص: 43-44.

يُعد عبد الحميد الكاتب رائد التأليف في الكتابة وضوابطها وما ينبغي على الكاتب إعداده، فرسالته إلى الكتاب رائدة لكل من خاطب الكتاب بعده، وفيها نجد مجموعة من الوصايا والارشادات التي تكفل للكتاب النبوغ في عملهم وتلك الوصايا تمثل خلاصة تجربته في ديوان الرسائل، وعصارة فكره، ومنها نتعرف على أركان الكتابة الفنية.

يقول شوقي ضيف: " الرسالة دستور واسع لكتاب يصور واجباتهم الخلقية والثقافية، وعلى هديها كتبت فيما بعد

كتب: أدب الكاتب والكتاب لابن قتيبة والصولي وغيرهما".